

# البنية الذهنية للحريم في حفريات فاطمة المرنيسي

عبد الرحمن علال  
باحث مغربي



قسم العلوم الإنسانية والفلسفة

## ملخص:

في هذه الدراسة نتتبع خيوط مفهوم الحريم في كتابات المرنيسي علنا نمسك بخيط من خيوطه أو ندرك قانون من قوانينه الناظمة، ونحاول إلقاء الضوء على الحفريات العميقة التي قامت بها الباحثة في بنيته الذهنية، بحثاً في أصوله التاريخية وامتداداته المعاصرة، قصد تفكيك الخطاطة الثقافية للحريم كما هي واردة في متون فاطمة المرنيسي، بكل ما تنسم به من استنطاق معرفي للأنا والآخر، ومساءلة للذات والغير، ونقد للبنى الحاضنة له هنا وهناك.. بصرامة علمية ورسالة أدبية.

إن فهم منطق اشتغال دينامية الحريم يتطلب تحديد معناه كما استقر في الشرق من خلال الحفريات التي قامت بها فاطمة المرنيسي على امتداد مسارها البحثي، ثم بعد ذلك البحث في كيفية انتقال هذا المفهوم إلى الغرب، والدلالات التي اكتسبها، بحيث بذلت الباحثة مجهوداً في تحديد مرجعيات تشكل نظرة الغرب إلى الحريم ومن خلاله إلى المرأة الشرقية، وهذا ما يهم المرنيسي تحديداً.

تُفاجئنا حفريات المرنيسي من خلال حصادها حول الحريم عندما وقفت على ذلك الكم الكبير من الصور النمطية والأفكار المسبقة حول المرأة الشرقية بحيث حصرتها في ثلاثية لا تخرج عن: الجنس، المتعة، الاستعباد، في نفي تام لأي قدرات عقلية أو مواهب، كما هو الشأن مع شهرزاد في محكيات ألف ليلة وليلة التي طبعت الفكر الإنساني بكل ما هو جميل من تحدٍ ومغامرة وجرأة قلّ نظيرها، لتتعرض للتشويه بمجرد أن وطئت قدمها الغرب ابتداءً من القرن الثامن عشر.

من أجل تكوين فكرة أكثر تكاملاً حول مفهوم الحريم، تقيم فاطمة المرنيسي مقارنات حول الحريم في الشرق والغرب، وتتبع معها مروفولوجية ودلالاته المختلفة لغة اصطلاحاً وشبكة المفاهيم المرتبطة به والتي تعتبر من مسمولاته، وتميز الحريم المتوهم عن الحريم التاريخي، وتبين الفروق الحاصلة بين الحريم الامبراطوري والحريم العائلي، مع ربط كل ذلك بمفهوم مركزي استقر في أدبيات فاطمة المرنيسي باعتباره معنىً مكثفاً لمحصلة الأبحاث عن الحريم عندما نحتت الباحثة مفهوم الحجاب المؤسسي.

"ولدتُ في حريم بفاس"، فاطمة المرينسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 9

## مقدمة:

حظي موضوع الحريم باهتمامٍ بالغٍ ضمن خريطة الانشغالات العلمية والأكاديمية للوسولوجية المغربية فاطمة المرينسي، إلى درجة بات معها ذكر مفهوم الحريم متبوعاً باستدعاء اسم فاطمة المرينسي التي راكمت فيه أبحاثاً مشهوداً لها بالعلمية والسبق والجدية. وفاطمة المرينسي من مواليد مدينة فاس المغربية عام 1940م، درّست في جامعة محمد الخامس في مدينة الرباط، وتابعت دراساتها العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث نالت P.H.D في موضوع: الجنس هندسةً اجتماعيةً، في علم الاجتماع العائلي عام 1973، عادت بعدها لتدرّس في الكلية التي درّست فيها في المغرب. وقد ارتبطت أبحاثها حول الحريم بالدفاع عن المرأة والترافع من أجل تحقيق المساواة ونيل الكرامة المستحقة، من خلال البحث والتنقيب في التاريخ العربي الإسلامي خاصة، والإنساني بشكل عام، عن النماذج المشرقة في مجال المساواة، وذلك في مقابل الأطروحات المدافعة عن تحجيم دور المرأة وجعله مقتصرًا على البقاء في البيت، في وقتٍ يعرف فيه المغرب تحولاً مجتمعيًا وديموغرافيًا وقيميًا لافتًا منذ بدايات تسعينيات القرن الماضي، بكل ما تحمله لحظات الانتقال وفترات التحول والعبور من قلق وفورة وعنفوان.

وستنتبع في هذه الدراسة خيوط مفهوم الحريم في كتابات المرينسي علّنا نمسك بخيط من خيوطه أو ندرك قانونًا من قوانينه الناظمة، ونحاول إلقاء الضوء على الحفريات العميقة التي قامت بها الباحثة في بنيته الذهنية، بحثًا في أصوله التاريخية وامتداداته المعاصرة، قصد تفكيك الخطأ الثقافية للحريم كما وردت في متون بحوث فاطمة المرينسي، بكل ما تتسم به من استنطاق معرفي للأنا والآخر، ومساءلة للذات والغير، ونقد للبنى الحاضرة له هنا وهناك، بصرامة علمية ورسالة أدبية.

إن فهم منطق اشتغال دينامية الحريم يتطلب تحديد معناه كما استقر في الشرق من خلال الحفريات التي قامت بها فاطمة المرينسي على امتداد مسارها البحثي، ثم بعد ذلك البحث في كيفية انتقال هذا المفهوم إلى الغرب، والدلالات التي اكتسبها، إذ بذلت الباحثة جهدًا واضحًا في تحديد مرجعيات تشكل نظرة الغرب إلى الحريم، ومن خلاله إلى المرأة الشرقية، وهذا ما يهتم المرينسي تحديداً. وتُفاجئنا حفريات المرينسي من خلال حصادها حول الحريم عندما وقفت على ذلك الكم الكبير من الصور النمطية والأفكار المسبقة حول المرأة الشرقية إذ حصرتها في ثلاثية لا تخرج عن: الجنس، والمتعة، والاستعباد، في نفي تامٍ لأية قدرات عقلية أو مواهب، كما هو الشأن مع

شهرزاد في محكيات ألف ليلة وليلة التي طبعت الفكر الإنساني بكل ما هو جميل من تحدٍّ ومغامرة وجرأة قلّ نظيرها، لتتعرض للتشويه بمجرد أن وطئت قدماها الغرب ابتداءً من القرن الثامن عشر.

وتقيم فاطمة المرنيسي، من أجل تكوين فكرة أكثر تكاملاً حول مفهوم الحريم، مقارنات حول الحريم في الشرق والحريم في الغرب، وتتبع معها مورفولوجيته ودلالاته المختلفة لغة اصطلاحاً، وشبكة المفاهيم المرتبطة به، والتي تعتبر من مشمولاته، وتميّز بين الحريم المتوهم والحريم التاريخي، وتبيّن الفروق الحاصلة بين الحريم الإمبراطوري والحريم العائلي، مع ربط كل ذلك بمفهوم مركزي استقر في أدبيات فاطمة المرنيسي، باعتباره معنىً مكثفاً لمحصلة الأبحاث عن الحريم عندما نحتت الباحثة مفهوم الحجاب المؤسساتاتي. ويلتقي مفهوم الحريم ومفهوم الحجاب المؤسساتاتي في معنى المنع والحجب ووضع الحدود، فالحريم مشتق من معنى الحرام في اللغة، وهو مفهوم عربي اللفظ، وليس له أي أصل في اللغات الأخرى، إذ يكتب بحروف لاتينية على هذا النحو: Harem، وهو بمثابة القيد على حرية وتنقل المرأة، بينما مفهوم الحجاب يحيل إلى منطقتي الفصل والتقسيم والمنع أيضاً.

## الحريم؛ التاريخي والمتوهم:

تري فاطمة المرنيسي أن بنية الحريم<sup>1</sup> تحيل إلى "مفهوم مكاني"<sup>2</sup>، مؤكدة أنّ هندسته المعمارية تنوّع في قسمين اثنين: فضاء داخلي أنثوي مستتر ومحرم على كل الرجال ما عدا السيّد، وفضاء خارجي مفتوح على كل الرجال ما عدا النساء<sup>3</sup>، فهو يحيل على "المكان وكذلك الأشخاص الذين يسكنونه"<sup>4</sup> وتؤكد المرنيسي في عموم منجزها المعرفي الذي راكمته حول مفهوم الحريم أن فيه التاريخي وفيه المتوهم أو المتخيّل<sup>5</sup>، وذلك لأن كثيراً مما قيل أو كُتب عنه، سواء في الشرق أم في الغرب، مليء بالمتخيّل البعيد أحياناً عن الواقع التاريخي، كما رصدته المصادر التاريخية الكبرى، أو كما نقله الفن التصويري. وتقول المرنيسي في هذا الشأن: "إن الغربيين لا يختزنون في

<sup>1</sup> - من الضروري هنا استدعاء التعريف المعجمي لمفهوم الحريم، يقول ابن منظور في لسان العرب: الحريم: ما حُرِّمَ فلم يمسّ. والحريم: ما كان المُحْرَمون يُلقونه من الثياب فلا يلبسونه. الحريم: الذي حُرِّمَ مسه فلا يدنى منه، وكانت العرب في الجاهلية، إذا حَجَّت البيت تخلع ثيابها التي عليها إذا دخلوا الحَرَمَ ولم يلبسوها ما داموا في الحرم. والحريم: ثوب المُحْرَم، وكانت العرب تطوف عراة وثيابهم مطروحة بين أيديهم في الطواف. والحريم فناء المسجد، وحكي عن ابن واصل الكلابي: حريم الدار ما دخل فيها مما يُغلق عليه بابها وما خرج منها فهو الفناء، قال: فناء البدوي ما يدركه حجرته وأطنابه. حريم الدار: ما أضيف إليها وكان من حقوقها ومرافقها. وحريم: أبو حي. وحريم البئر: ملقى النبينة والممشى على جانبها ونحو ذلك. والحريم: الصديق، يقال فلان حريم صريح أي صديق خالص. انظر في هذا الشأن: ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط2، 2003، مادة (حرم).

<sup>2</sup> - فاطمة المرنيسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟، ترجمة: نهلة بيضون، الدار البيضاء، نشر الفنك، المركز الثقافي العربي، ط3، 2008، ص 9

<sup>3</sup> - المصدر نفسه.

<sup>4</sup> - فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل، الدار البيضاء، نشر الفنك، المركز الثقافي العربي، ط2، 2007، ص 71

<sup>5</sup> - فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل، الدار البيضاء، نشر الفنك، المركز الثقافي العربي، ط3، 2010، ص 25

أذهانهم إلا أشكال حريم تكونت انطلاقاً من الصور التي نسجها فنانونهم، وهي لوحات فنيّة وشرائط أفلام أساساً، في حين أنني أختزن في ذهني قصوراً واقعية ذات أسوار شاهقة، مشيدةً بأحجار صلبة حقيقية، من طرف رجال أقوياء جداً كالخلفاء والسلاطين والتجار. إن حريمي يحيل على واقع تاريخي، أما حريمهم فيستمد قوته من الصور التي خلقها الرسامون الذين كانوا يستمتعون بخلق نساء سجينات، ناسجين بذلك رباطاً لا مرئياً بين المتعة والاستبعاد.<sup>6</sup> يتضح من خلال هذه المقارنة التي تقيمها الباحثة فاطمة المرنيسي بين الحريم في الشرق والحريم في الغرب، أن الأول متوهم تعرّض للتشويه من طرف فنانيين وكتّاب، لكن الثاني، أي الحريم الشرقي، وقع تاريخياً واستمر إلى عهد قريب، قبل أن يفكك بشكل نهائي في العقد الأول من القرن الماضي خلال حكم الإمبراطورية العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ويستمر فيما بعد في شكله العائلي.

إن الحريم كما استقر عند المرنيسي ليس جنة، بل كثيراً ما يكون مرادفاً للشقاء<sup>7</sup> وضنك العيش، ولا يحيل دائماً على ما هو إيجابي في سمائنا العربية، فهو سجن<sup>8</sup>، بما تحمله الكلمة من معاني الحصار<sup>9</sup> ومصادرة الحرية، إذ يستحيل على المرأة مثلاً أن تفتح النوافذ لرؤية الخارج إذا ما هي استشعرت رغبة في رؤية ورود أخرى غير الورد الأسيرة في نسيج الأتواب الفاخرة.<sup>10</sup> وعليه، فإن كل ذلك يحيل إلى العنف والإقصاء والحرمان ومصادرة الحق في الرحيل أو مغادرة ذلك السجن، لأنه "حتى وإن كنت لا تستشعرين جاذبية نحو السيد، ليس بإمكانك إذا كنت جارية في حريم أن تصفقي الباب وراءك وترحلي"<sup>11</sup>؛ لأن الحريم أشبه بالقلعة<sup>12</sup>، فهو بمثابة حصنٍ منيعٍ من خلال استحضر معاني الجدران والحواجز والحدود والأسوار،<sup>13</sup> لكنها تؤكد من جهة أخرى أن الحواجز موضوع الحريم هش ويمكن اختراقه، وتورد مثلاً على ذلك تعرض الملك شهربار

<sup>6</sup>- المصدر نفسه، الصفحة 27

<sup>7</sup>- فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 41

<sup>8</sup>- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 152. انظر في هذا الشأن أيضاً: فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 63-199، 213، 225

<sup>9</sup>- فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 41، نقراً أيضاً: "كانت تقول (أي جدة المرنيسي الياصمين) أحياناً بأن المرأة تكون محاصرة في حريم عندما تفقد حرية التحرك". لقد تكرر في الكتاب المذكور الإشارة إلى الحريم باعتباره حصاراً في فقرات كثيرة، حيث نجد الإحالات التالية: "حين تكونين سجينة دون حماية وراء الأسوار، ومحاصرة في حريم... ص 126" (...) "لأنهن كنّ محاصرات في حريم" ص 140، "انتخيل امرأة رهينة في حريم" ص 140، "لو أن التضامن بين النساء ساند لما كنا محاصرات على هذا السطح" ص 152، "لقد كانت هؤلاء النساء المحاصرات بحدود مفروضة عليهن" ص 226

<sup>10</sup>- فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 67

<sup>11</sup>- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 152

<sup>12</sup>- فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، مصدر سابق الذكر، الصفحة 47

<sup>13</sup>- تقول المرنيسي على لسان والدتها خديجة في محكياتها: نساء على أجنحة الحلم: "هم (أي الرجال) يحبسونا وراء الأسوار لكي يتبلد ذهننا"، ص 199، وبالتالي يأخذ الحريم هنا معنى السور الذي يفصل المرأة عن الخارج، ويحول دون حريتها وتحقيق طموحاتها المشروعة.

للخيانة من طرف زوجته مع أحد عبيده في عقر حريمه كما ورد في محكيات ألف ليلة وليلة<sup>14</sup> وتحكي المرنيسي نقلاً عن جدتها الياسمين<sup>15</sup> أنها أمضت حياتها في حريم<sup>16</sup>، أي في مجال أبوابه موصدة وآفاقه مسدودة<sup>17</sup>، لأنه يجعل سقف أحلام النساء منخفضاً جداً، وتتضاءل معه الطموحات والرغبات والآمال والأمني، حتى أنها لا تكاد تتجاوز عتبة الرغبة في التجول بحرية في الأزقة<sup>18</sup>، علمًا بأننا في فترة أواسط الأربعينيات وبداية الخمسينيات<sup>19</sup> من القرن الماضي، وكان حال جزء كبير من نساء المغرب أسيرات في الحريم<sup>20</sup>، عكس ما كان عليه الأمر في دول أخرى كمصر وتركيا، التي كانت تعرف نهضة نسائية وحرًا غير مسبوق حول مطالب تنادي بالمساواة والتحرر والحق في التعليم. لذلك فالحريم عند المرنيسي مؤسسة قاسية تُحدث تشويهاً للنساء<sup>21</sup> لا تندمل جراحه ولو بعد حين، رغم أنه يحيل إلى العائلة بما يمكن أن تحمله من دلالات الألفة والحب والحنان والمودة والعطف، إلا أنه يحيل إلى العقاب<sup>22</sup>، ويكون مصدر شعور قاسٍ ومؤلم ومحبط، إنه الشعور بالتعاسة<sup>23</sup>.

من الخلاصات الأساسية المضمّنة في كتابات فاطمة المرنيسي، أن الإنسان الشرقي عادة ما لا يبتسم عندما يسمع كلمة حريم، على عكس الإنسان الغربي الذي يثير لديه شعور بالسعادة والانشراح؛ فالمرنيسي بمناسبة صدور كتابها: "نساء على أجنحة الحلم" أواسط عقد التسعينيات من القرن الماضي، قامت بجولة تعريفية بالكتاب في عدد من الدول الأوروبية، فكان الصحفيون يبتسمون عندما يسمعون كلمة حريم للوهلة الأولى، الشيء الذي أثار فضولها وجعلها تتخبط في البحث عن معنى الحريم في ذهنية الإنسان الغربي، والمصادر التي استقى منها الرجل الغربي المعاني التي تشكلت لديه حول هذا المفهوم. فكيف للإنسان الشرقي

14- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص ص 63-64

15- يتضح من خلال محكيات فاطمة المرنيسي "نساء على أجنحة الحلم" مدى ارتباط فاطمة المرنيسي بجدتها الياسمين التي كانت تمطرها دائماً بالعديد من النصائح التي شكلت لها نبراساً فيما بعد في كتاباتها، وكثيراً ما استدعت المرنيسي جدتها في تحليلاتها، بحيث أن نصائح الجدة تحضر كثيراً في كتاب "شهرزاد ترحل إلى الغرب" خصوصاً ما يتعلق بضرورة الإنصات لما يقوله الآخر شرطاً لتحصيل المعرفة الصحيحة.

16- تعتبر الباحثة فاطمة المرنيسي أن كلمة: "الحرّة" تحيل في الحريم على الزوجة الشرعية التي تتحدر غالباً من أصل اريستقراطي، وذلك عكس الجارية التي كانت تشتري من طرف السيد في أسواق النخاسة، راجع في هذا الشأن: فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ترجمة: فاطمة الزهراء ازرويل، الدار البيضاء، نشر الفنك، المركز الثقافي العربي، ط3، 2010، ص 17

17- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 5

18- المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 30

19- يتعلق الأمر بفترة السرد في محكيات "نساء على أجنحة الحلم".

20- مع الإشارة إلى ما تفرضه الأمانة العلمية التاريخية من استحضار النماذج المشرفة سواء قبل هذه الفترة أو إبانها من المقاومات الباسلات للمستعمر، أو النضال السياسي مع المقاومين.

21- فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 7

22- المصدر نفسه، ص 23

23- المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 86، تقول المرنيسي على لسان والدتها خديجة في لحظة قرف من سلطة الحريم: "من سمع منكم بعشرة طيور في عش واحد؟ ليس من الطبيعي العيش في مجموعة كبيرة إلا إذا كانت الغاية هي إتعاس الناس."، أنظر في هذا الشأن ص 227

أن يبتسم<sup>24</sup> والحريم يردُّ مرادفًا للكيد الذي تمارسه النساء في إطار تدبير واقع التعدد المفروض في الحريم؟ هذا التدبير الذي يشمل الحيز المكاني أو الجغرافي الذي يشغله الحريم لأن نساءه لم يكنَّ في وفاق دائم، بل ثمة صراع ونزاع مستمر في جغرافية الحريم لا يكاد ينتهي.

فقد شنت حروب داخلية من أجل تحصيل وضع متقدم قربًا من السلطان أو الخليفة أو الزوج أو سيد الحريم عمومًا، ووقعت دسائس ودبّرت مؤامرات، في ظل جدلية القرب والبعد من مركز الحريم، وبالتالي يكون من غير الواقعي تصوير الحريم مكانًا تزينه سعادة ما،<sup>25</sup> بل يكتسي أحيانًا صبغة دموية،<sup>26</sup> وهو ما تعبر عنه المرنيسي بمأساوية الحريم. فعند تحليلها مثلًا لمحكيات ألف ليلة وليلة، خلال تعرض الملك شهريار للخيانة خاصة، تستخلص أن بنية الحريم ذاتها هي التي تحدد الخيانة وتساعد عليها، وذلك لأن التراتبية والحواجز التي يضعها الرجال للتحكم بالنساء، هي التي تؤدي إلى التمرد وتملي قوانينه، والقوانين الزوجية التي تبتدئ بها ألف ليلة وليلة تؤدي إلى وهم آخر يقوي بعدها المأساوي.<sup>27</sup>

يملك الحريم الكثير من السحر والجاذبية، لأنه نقطة التقاء وانصهار لثلاثة من أكثر العوامل المرغوبة في العالم: السلطة والثروة والمتعة، وإذا فصلنا السلطة والثروة وهدمنا من جهة، والرغبة من جهة أخرى لوجدنا أن الرغبة هي التي تشكل مصدر الاستيهامات أصلًا،<sup>28</sup> هذه الاستيهامات شكلت إحدى المحاور الرئيسية في حفريات المرنيسي حول الحريم في نسخته الغربية.

## حريم الغرب؛ استيهامات الفن في خدمة المتعة والاستعباد:

تتساءل فاطمة المرنيسي أسئلة مربكة ومرعبة وحارقة خلال حفرها عن الحريم في ذهنية الرجل الغربي، كيف فهم الحريم ابتداءً وكيف تمثله انتهاءً في رسوماته؟ ثم كيف أوصله عبر واسطة اللوحة إلى الجمهور الغربي العريض المشبع بثقافة الفن؟ وقبل ذلك لماذا كان انجر (Auguste Ingres Jean 1867-1780) في القرن التاسع عشر، وماتيس (Matisse Henri 1869-1954) في القرن العشرين، يرسمان محظيات تركيبات مستسلمات ومسترخيات، في حين يذكر التاريخ الإسلامي النساء وقد تخطّين حدود الحريم ومارسن

<sup>24</sup>- تقول المرنيسي: "يصعب علينا أن نتخيل هؤلاء الخلفاء يبتسمون لدى تلفظهم بكلمة حريم"، فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 142

<sup>25</sup>- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 34

<sup>26</sup>- المصدر نفسه، ص 155

<sup>27</sup>- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 62

<sup>28</sup>- فاطمة المرنيسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟، ص 69

السياسة أكثر مما كانت تسمح لهن الأعراف والتقاليد؟<sup>29</sup> هل هناك ارتباط بين الجمال كما تصوّره الفيلسوف كانط وبين الوصيفات السلبيات كما رسمهن انجر؟<sup>30</sup> أليس من الغريب أن المستبدين في الشرق خلال القرون الوسطى كانوا يبحثون عن الجوّاري العالمات، في حين أن الفلاسفة الغربيين، من مثل كانط، كانوا يحلمون بنساء جاهلات في أوربا خلال عصر الأنوار؟<sup>31</sup> لماذا النساء سلبيات دائماً في المخيال الغربي كما عكسه بعض الفنانين؟ وما مصدر ذلك الهدوء الغريب الذي يوحي به الحريم لديهم؟<sup>32</sup> ثم كيف أمكن للغربيين أن ينسجوا صورة مثالية وحسية إلى هذا الحد عن الحريم؟<sup>33</sup>

ليس الحريم معطىً شرقياً خالصاً؛ فللغرب حريمه الخاص كذلك، وهو ما ظل يشغل بال وفكر فاطمة المرنيسي فترةً طويلة.<sup>34</sup> تتحدد مرجعيات الحريم الغربي ومصادره الأساسية في الفن، باعتباره البوابة التي اطلع من خلالها الغربيون على الحريم الشرقي أولاً، ومن ثم أصبح لهم حريمهم الخاص. وقد انكبّت المرنيسي على تفكيك خطاطته، لتؤكد منذ البداية أن الحريم الغربي متوهم، يدعو إلى الابتسام بمجرد سماع الكلمة، قبل أن تخلص إلى أن العنصر الأساسي المكون للحريم الغربي هو: المرأة الخاضعة والمستسلمة.<sup>35</sup>

تري الكاتبة، من خلال المقارنات التي عقدتها في مؤلفاتها المختلفة حول الحريم، أنه في الوقت الذي عرف فيه العالم العربي نماذج نسائية رائدة في مجالات متعددة مثل: التدريس في الجامعة، ولوج الحمامة، وقيادة الطائرة... إلخ، كان الفن الغربي يصر على تصوير النساء في أكثر الوضعيات ضعفاً وخنوعاً واستسلاماً ولا مبالاةً، ومما يعزز هذا التوجه أن كانط في كتابه الموسوم بـ: "ملاحظات حول الإحساس بالجمال وبالسمو" حطّ من شأن المرأة عندما قصر الذكاء على الرجل، فأصبح الحريم مجرد مكان<sup>36</sup> يعج بمخلوقات فاتنة ومستسلمة وخائفة<sup>37</sup> دونما استحضر للعقل والذكاء.

<sup>29</sup>- فاطمة المرنيسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟، ص 186

<sup>30</sup>- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 196

<sup>31</sup>- المصدر نفسه، ص 112

<sup>32</sup>- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 40

<sup>33</sup>- المصدر نفسه، ص 34

<sup>34</sup>- تؤكد المرنيسي على مسألة بالغة الأهمية تتعلق بضرورة تحسين قدرات الإنصات لفهم الحريم عند الغربيين، بمعنى آخر ضرورة التوفر على أذن سوسبولوجية تلتقط بشكل جيد، وعين سوسبولوجية ترى الأشياء بعمق، لذلك فالمرنيسي كانت تجيد الإنصات في جولاتها ولقاءاتها مع الغربيين، وكانت ذا نظر ثاقب خلال دراساتها حول الفن الغربي المخصص للحريم الشرقي. انظر في هذا الشأن: عبد السلام بنعبد العالي، ثقافة الأذن وثقافة العين، سلسلة المعرفة الفلسفية، دار توبقال للنشر، 2008

<sup>35</sup>- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 43

<sup>36</sup>- تصرّ المرنيسي على البعد المكاني للحريم، وتضيف: "أما أنا، فحين أستعرض صور الحريم في ذاكرتي، أرى قبل كل شيء مكاناً يعج بالبشر"، فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 33

<sup>37</sup>- المصدر نفسه، ص 32



لقد ساهم الفن التصويري الغربي في تكوين صورة سلبية عن النساء الشرقيات، فنساء الحريم كن أبعد عن الشهوانية والفراغ والعري كما تصوّرتهم أعمال ماتيس وانجر وبيكاسو،<sup>38</sup> فعلى العكس من ذلك كنّ بالغات النشاط ومرتديات ثيابهن أو يرتدين قمصاناً ثقيلة، وغالباً ما يمتطين خيولاً سريعة ويتسلحن بأقواس وسهام، في تلك المنمنمات التي تصور نساء يستحيل ضبهن أو التحكم فيهن<sup>39</sup>. ولم تكن نساء الحريم في الشرق مستسلمات استناداً إلى التاريخ الإسلامي.<sup>40</sup> وانطلاقاً من المنمنمات والحكايات والقصص والملاحم، نتبين ملامح صورة عن الرجال وهم لا يشعرون بالاطمئنان في الحريم، سواء أكان واقعيّاً أم خياليّاً، إنهم يعيدون عن الأبطال الحاكمين الواقعيين من أنفسهم كما يوحي بذلك الفنانون الغربيون في أعمالهم.<sup>41</sup>

ولا تتردد المرنيسي في الدعوة إلى التمييز بين مستويين من الحقيقة: الحقيقة التي تصنعها المرأة، كالنساء التركيات اللواتي يتعلّمن ويصبحن محاميات وطيارات عام 1930، والاستيهام الذي يشكل جزءاً من واقع الرجل،<sup>42</sup> من خلال لوحات ماتيس الذي ركز على عري المرأة، وفصلها عن كل ما هو عقلي. وإذا كان الحريم الشرقي مليء بالخطط والخطط المضادة مراعاة لمبدأ التوازن،<sup>43</sup> فإن الحريم الغربي مكان مأمون لا يمكن للنساء المستعبدات فيه أن يتمردن، لقد خلقن عاريات وصامتات وسيفيين كذلك،<sup>44</sup> هكذا أريد لهنّ من لدن الفنان الغربي الذي تربى على قيم الحداثة والمساواة والأنوار.

لم يكن هناك أمل لدى المرأة لكي تتميز في الحريم الشرقي إلا إذا ثقفت عقلها، ولذلك فإن خضوعها لتصور كانط حين يفرق بين الجمال والذكاء، يحكم عليها بالانتحار<sup>45</sup> حين يفرض عليها أن تبقى جاهلة. وكل النساء اللاتي رسمهن انجر خلال خمسين سنة كنّ عاطلات، بل سلبيات وسجينات دائماً، ومسترخيات على

38- تعتبر فاطمة المرنيسي أن كلمة Odalisque، أي الوصيفة، من أكثر الألفاظ استعمالاً في الغرب لنعنت المرأة المستعبدة في الحريم، وهي كلمة تركية تحيل على المكان، حيث إن كلمة Oda تعني الغرفة؛ وتضيف أن الكلمة العربية التي تستعمل لنعنت المرأة المستعبدة في حريم أي الجارية تحيل هي الأخرى على الخدمة، إلا أن اشتراك الكلمتين في المعنى لا يعني عدم وجود فرق لساني بينهما. إذا كانت اللفظة التركية تحيل على المكان، فإن الجارية تحيل على حركة الجري، فالجارية هي الخادمة الشابة التي تجري لتلبية رغبات سيدها. انظر في هذا الشأن، فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص ص 54، 55

39- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 31

40- فاطمة المرنيسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟، ص 178

41- فاطمة المرنيسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟، ص 178

42- فاطمة المرنيسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟، ص 53

43- فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 223

44- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص ص 131- 132

45- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 111

الأرائك في حالة عري محرّج. يمكن القول، إن هذا الوهم الذي يتخيل النساء خاضعات لا يوجد إلا في لوحات مواطني الجمهورية الفرنسية، وأنه غائب تماماً عن اللوحات التي أنتجها فنانون الشرق.<sup>46</sup>

إن العنف الذي يمثله الحريم الغربي غير ظاهر بوضوح لأنه مغلف بالاختيار الجمالي،<sup>47</sup> ويسعى جاهداً إلى منح النساء إحساساً عميقاً بالحرج والاضطراب والخجل،<sup>48</sup> تقول المرنيسي<sup>49</sup> في هذا الشأن: "... هكذا ترين بأن شركة ذات مقر في ناطحة سحاب من زجاج فوق المستقبل على الطراز الموجود في الشانزلزيه يمكنها أن تضم حريماً"<sup>50</sup>، وتضيف أيضاً: "أن تتحول المرأة إلى شيء يرتبط وجوده بنظرة مالكه، يجعل المرأة الحديثة... أمة في حريم."<sup>51</sup>

## مورفولوجيا الحريم؛ الحريم العائلي والحريم الإمبراطوري:

تشير الباحثة فاطمة المرنيسي إلى ملاحظة دالة تتعلق بضرورة التمييز بين الحريم المنزلي أو العائلي وبين الحريم الإمبراطوري أو التاريخي، لأنه بمجرد الحديث عن الحريم تنتسارع إلى الذهن صور<sup>52</sup> وحكايات تجدها أقرب إلى الخيال منها إلى ما أكدته المعطيات التاريخية. وهي مسألة مهمة لأن المرنيسي اعتبرت الحريم المنزلي أو الحريم التاريخي على السواء مجردين من ذلك "البعد الأيروسي الذي يشدّ خيالات الأوروبين"<sup>53</sup>، ويجعلهم أسرى لهذا النوع من الاستيهامات. ويختلف الحريم تبعاً لاختلاف الأزمنة وتبدّل الأمكنة، في حريم هارون الرشيد الذي لا تخفي المرنيسي إعجابها به،<sup>54</sup> كانت جواريه شابات مثقّفات، يدرسن كتب التاريخ وخطط الحرب والفقّه حتى يجلبن له المتعة عن طريق المعرفة، ولم يكن الرجال في ذلك العصر يرغبون في مصاحبة نساء أميات، وما كان بإمكانك إثارة انتباه الخليفة إذالم ينبهر بمعلوماتك في الجغرافيا والأنساب

<sup>46</sup>- المصدر نفسه، ص 175

<sup>47</sup>- المصدر نفسه، ص 228

<sup>48</sup>- المصدر نفسه، ص 230

<sup>49</sup>- الكلام هنا لكريستيان الناشرة الفرنسية لكتابات فاطمة المرنيسي.

<sup>50</sup>- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص ص 199- 200

<sup>51</sup>- المصدر نفسه، ص 234

<sup>52</sup>- من الأمور المتوهمة حول الحريم أنه مرتبط دائماً بتعدد الزوجات، وهو ما تنفيه المرنيسي عندما تقول: "ما يحدد الحريم في هذه الحالة ليس تعدد الزوجات بل التمييز الحاصل في المكان بين "الداخل" و"الخارج" ومحاصرة النساء في الأول منهما". انظر الهامش رقم 4 المخصص للفصل الرابع، فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 229

<sup>53</sup>- فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، الهامش رقم 4 المخصص للفصل الرابع، ص ص 258- 259

<sup>54</sup>- أنظر في هذا الشأن، فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 136

والشرع وعادات وتقاليد البلاد الأجنبية وعلوم أخرى. لقد انقضى عصر الخلفاء العباسيين، وغدا الحريم الآن يعج بنساء أميات.<sup>55</sup>

وتحليل المرنيسي على فترتين من الزمن في التحقيب لتطور بنية الحريم، فقد كان في شكله الإمبراطوري يضم نساء ذوات مواهب عالية وكفاءات تسير بذكرها الركبان، ليتحول، خصوصاً في المغرب، إلى مكان تصدر فيه حقوق المرأة وتحرم من التعلم واكتساب معارف جديدة، لذلك ارتبط مفهوم الحريم عند فاطمة المرنيسي بمجموعة من السمات السلبية، فكلمة حريم تعود إلى لفظة الحرام الذي يتعارض مع الحلال.<sup>56</sup> من جهة أخرى يحيل الحريم على المكان الذي يضع فيه الرجل أسرته ليدراً عنها الخطر، سواء تعلق الأمر بزوجة واحدة أو عدة زوجات، بأطفاله أو قريباته، قد يكون في بيت أو خيمة.<sup>57</sup>

ويقوم الحريم على ثلاث دعائم أساسية، هي:

**مبدأ الفصل:** يحيل هذا المبدأ على إحدى أهم خصائص الحريم المتجلية في بُعد المكان، ومعه يكون الفصل أيضاً مكانيًا من خلال فصل مجال الرجال عن مجال النساء،<sup>58</sup> فلا يمكن للنساء ولوج مكان الرجال ولا يمكن للرجال ولوج مكان النساء. ثم الفصل بين "الداخل" الذي هو المكان الطبيعي للنساء تبعاً لمنطق الحريم، و"الخارج"، باعتباره الفضاء الأنسب للرجال.<sup>59</sup> إن الحريم العائلي هو مكان محمي ومنظم له قانونه المحدد، إذ لا يمكن لرجل أن يدخله دون إذن صاحبه، في هذه الحالة عليه أن يخضع لقانونه وينضبط له، لأن الحريم محكوم بفكرة الملكية الخاصة والقوانين التي تسيروها،<sup>60</sup> وترتيباً على ما سبق يكون معه "الفصل بين الجنسين أكبر في الحريم منه في الزواج الأحادي بما أن النساء لا يغادرنه."<sup>61</sup>

<sup>55</sup>- فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 166

<sup>56</sup>- تضيف المرنيسي في هذا الشأن: كلمة حريم أصلها عربي، مشتقة من كلمة حرام التي تدل على المحظور وتصف النطاق المخصص للنساء، فاطمة المرنيسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟، ص ص 145-146

<sup>57</sup>- فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 71

<sup>58</sup>- نجد معنى قريباً من هذه الفكرة عندما تميّز الباحثة فاطمة المرنيسي بين الحجاب والحجاب، وتستدعي في ذلك مفهوم الفصل أو تقسيم المجال، تقول في هذا الشأن: "الفرق الوحيد بين الحجاب والحجاب، هو أن الأول إنسان والثاني شيء، ولكن الاثنين يقومان بالمهمة نفسها: تقسيم المجال إلى قسمين، إلى داخل وخارج، قصد حماية الداخل من الخارج"، فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 276

<sup>59</sup>- لمزيد من التفاصيل أنظر الهامش رقم 4 المخصص للفصل الرابع من كتاب: نساء على أجنحة الحلم، ص 259

<sup>60</sup>- المصدر نفسه، ص 71

<sup>61</sup>- فاطمة المرنيسي، الجنس كهندسة اجتماعية بين النص والواقع، ترجمة: فاطمة الزهراء ازرويل، المغرب، نشر الفنك، مطبعة فصالة، المحمدية، ط1، 1987، ص 126

ونجد حريماً قائماً على مبدأ الفصل حتى في البداية، باعتبارها مجالاً مفتوحاً على الخارج وعلى الأفق بشكل أرحب، حيث تقيم النساء في الجناح الأيمن من البيت، أما الجناح الأيسر فيكون مخصصاً للرجال.<sup>62</sup> وبالتالي، فانتقال الحريم بين الحاضرة والبادية لا يغير في شيء مبدأ الفصل، لأن الفصل والتقسيم مفهومان ذهنيان مستقران في ذهن الرجل، ويرتعلان معه، في ارتباط وثيق بين الحدود وبين السلطة، فيصير معه الحريم وجه آخر من الأوجه المتعددة لممارسة السلطة. إن لمنطق الفصل هذا تداعيات تعتبرها المرنيسي خطيرة تتعكس سلباً على علاقة الرجال بالنساء، إذ يحفر بينهما هوة سحيقة، لا يفهم الرجال النساء ولا النساء الرجال. هناك حدود حقيقية تقسم العالم إلى قسمين، وهي ترسم خطوط السلطة،<sup>63</sup> لأن وجود الحدود أينما كانت تعني بأن هناك نمطين من البشر على هذه الأرض التي خلقها الله: هناك الأقوياء في جانب والضعفاء في الجانب الآخر.<sup>64</sup>

إن الحريم في بُعد المكان، كما تمّ بيانه، يأتي منسجماً مع منطق العمارة الإسلامية القائمة على مبدأ فصل أو عزل النساء عن الرجال، حتى أن الغرف المخصصة للضيوف تكون في مكان، حيث لا يمكن للضيف أو الزائر أن يرى "حريم" المضيف سواء أكان واحداً أو متعدداً. ويأخذ هذا الفصل بعداً صارماً غير قابلٍ لإعادة النظر، تقول فاطمة المرنيسي في نصها<sup>65</sup> الجميل نساء على أجنحة الحلم: "كنت أجلس على العتبة، وأنظر إلى بيتنا كما لو كنت أراه لأول مرة، هناك في البداية وسط الدار ذو التقسيم الصارم"<sup>66</sup>، وتضيف: "لم يكن يُسمح لي باجتياز تلك العتبة للعب في وسط الدار خلال الصباح قبل استيقاظ أمي"<sup>67</sup>، هذا الأمر تفسّره المرنيسي بكون الحياة الجنسية في العالم الإسلامي ذات طبيعة مجالية Territoriale؛ أي أن المكان قطب

<sup>62</sup> - فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 57

<sup>63</sup> - تربط المرنيسي ربطاً وثيقاً بين الحريم وبين الاستبداد، لمزيد من التفاصيل في هذا الشأن انظر: فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 266. وبما أن الحريم يحل في حفريات المرنيسي على مفهوم الحدود، تقول: "إن الحدود لا توجد إلا في أذهان الذين يملكون السلطة"، فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 11

<sup>64</sup> - فاطمة المرنيسي، ص 254

<sup>65</sup> - يصعب تصنيف منجز فاطمة المرنيسي: نساء على أجنحة الحلم (الترجمة العربية)، أو Rêve de femmes, contes d'enfance au harem (الترجمة الفرنسية)، أو Dreams of trespass – Tales of a harem girlhood، (النص الأصلي بالإنجليزية) حول ما إذا كان يدخل ضمن الكتابة الأكاديمية التي عوّدتنا عليها، أم يدخل ضمن جنس الرواية، أم يندرج ضمن جنس السير الذاتية، فغلاف النص سواء بالإنجليزية (الصادر سنة 1994)، أو بالفرنسية (الصادر سنة 1997) أو بالعربية (الصادر سنة 1998) في طبعاته وترجماته المتعددة، لا يحمل أي مؤشر على جنسه الأدبي، لكن المرنيسي لم تتردد في نفي أن يكون هذا العمل سيرة ذاتية عندما تقول: "... وبما أن هذا الكتاب ليس سيرة ذاتية، وإنما أحداث متخيلة على شكل حكايات ترويها طفلة في السابعة"، الهامش رقم 1 المخصص للفصل الثالث، ص 255. أشير أيضاً إلى أن إحدى الترجمات إلى الفرنسية (لأنّ النص الأصلي كُتب بالإنجليزية) تضمن الإشارة في الغلاف إلى أنه "رواية"، وأعتقد أن في ذلك نوع من التسرع، لأنها لم ترد في أيّ من الطباعات الأخرى. انظر في هذا الشأن: Fatéma Mernissi, Rêves de femmes, Roman, édition le Fennec (Fennec Poche), 5 ème édition, février, 2011, l'imprimerie Najah EL Jadida, Casablanca.

<sup>66</sup> - فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 12

<sup>67</sup> - فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص ص 9-10

أساسي في هندسة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين،<sup>68</sup> إذ يعكس تقسيم المكان الاجتماعي إلى مكان منزلي ومكان عام تعبيراً عن علاقة سلطوية وتراتبية،<sup>69</sup> لأن "الحدود لا توضع مجاناً، والمجتمع لا يتلاعب بالتقسيم لمجرد رغبته في تجزئ العالم الاجتماعي." <sup>70</sup> السؤال المطروح على هذا المستوى هو: ما هي الوظائف التي يؤديها هذا الفصل في بنية الحريم؟

ويمكن التمييز في هذا المستوى بين وظيفتين اثنتين: وظيفة ظاهرة: فصل النساء عن الرجال الغرباء الذين يمكن أن يترددوا على البيت في أوقات مختلفة من اليوم. ووظيفة مستترة غير مرئية: تتعلق بارتباط الفصل والتقسيم بالشرف،<sup>71</sup> إذ إن احتجاب النساء في الحريم وجوباً، وإغلاق الأبواب عليهن يعتبر حماية لشرف الرجال من أن تطاله ألسنة الناس بسوء، فالشرف في الثقافة الشرقية يعتبر خطأ أحمر.

**مبدأ التمييز:** وتورد فاطمة المرنيسي مؤشراً على ذلك عندما تقول: "يتعلق الرجال (منطق الأسبقية دائماً) حول المائدة الأولى. أما الثانية، فمخصصة للنساء"<sup>72</sup> ذوات الامتياز، في حين كانت الثالثة من أجل الأطفال والنساء الأقل أهمية... أما المائدة الرابعة، فمخصصة للخدم وللمتأخرين دون اعتبار للسن أو الجنس أو المكانة.<sup>73</sup>

**النظام السائد في الحريم:** حيث إنه لا يمكن تصور الحريم دون قانون ينظم حركة السير في مجاله الجغرافي، وللمرنيسي في التدليل على ذلك مؤشران: المؤشر الأول يهتم بنظام التغذية، حيث كانت لا تخرج على ثلاث وجبات في اليوم وفي أوقات محددة، وهذا الأمر غير منفصل عن معطى اجتماعي عام هو أن الحريم يحيل على العائلة الكبيرة الممتدة أحياناً، وكانت لحظة الأكل لحظة اجتماعية بامتياز يحرص فيها كل أفراد العائلة على الحضور، وهو غير مفصول عن معطى اقتصادي خصوصاً أن زمن الحكي عند المرنيسي في منجزها: نساء على أجنحة الحلم، هو عقد الأربعينات من القرن الماضي مما يحيل على الأزمة الغذائية التي مرّ منها المغرب في تلك الفترة وضرورة اللجوء إلى التقشف وسيلةً للاستمرار في البقاء والعيش. وما يتضمنه

68- فاطمة المرنيسي، الجنس كهندسة اجتماعية، ص 119

69- فاطمة المرنيسي، الجنس كهندسة اجتماعية، ص 121

70- المصدر نفسه، ص 120

71- المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 29

72- تحظى المرأة الأولى في حياة رجل الحريم بمكانة خاصة، فتكون مقربة جداً، وتنتمي إلى دائرة الاستشارة الضيقة المحيطة به، وتكون لها الكلمة الفصل في حالات الخلاف حول مسألة معينة في اليومي الذي يعيشه الحريم، وعادة ما تحرص على فرض قوانين الحريم في غياب الزوج، وتكون بالتالي سادنة الحريم التي هي ضحيته الأولى أساساً، وهذه مفارقة عجيبة، تؤشر على درجة الاستيلاء التي يمارسها الحريم على ضحيته، لكن في حالات متعددة تفقد المرأة الأولى كل امتيازاتها في حالة إقدام الزوج على خطوة الزواج من امرأة ثانية.

73- المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 85

ذلك من صعوبة تصور تقديم وجبة خارج التوقيت الرسمي المعتمد<sup>74</sup>. المؤشر الثاني: يهتم احترام وقت إطفاء الإنارة في البيت، حيث كان البواب أحمد يحرص على إطفاء الإنارة بعد غروب شمس كل يوم.<sup>75</sup>

على الرغم من أن الحريم كان يعرف تطبيق قوانين صارمة، إلا أنها كانت تتعرض للخرق، كما هو الشأن مع والدة فاطمة المرنيسي التي كانت تستيقظ أحياناً متأخرة، حوالي الحادية عشرة صباحاً، كما تحكي ذلك المرنيسي، وتعد لنفسها فطوراً خارج التوقيت الرسمي، تحت نظرات الجدة الغاضبة باعتبارها أحد سدنة الحريم في غياب الزوج.<sup>76</sup> بالإضافة إلى ذلك كان التعبير عن التذمر من حياة الحريم مسألة عادية، فمثلاً أم المرنيسي كانت تجاهر بأنها تكره الحياة الجماعية في الحريم و"تحلم بالعيش منفردة مع أبي".<sup>77</sup> يبلغ الاحتجاج<sup>78</sup> ذروته عندما تفد امرأة ثانية إلى الحريم إثر زيجة جديدة لسيد الحريم، إذ "تصرخ النساء حين تأتي الزوجة الثانية إلى البيت، كن ينظمن ما قد نسميه اليوم اعتصاماً في ساحة الحريم، كان الأمر يتعلق باجتماعات احتجاج ذات طابع جنازتي، حيث تأتي الصديقات ليعربن لهن عن تعاطفهن ورفضهن للظلم".<sup>79</sup>

## الحريم؛ الحدود والحريم اللامرئي:

تربط فاطمة المرنيسي ربطاً وثيقاً بين الحريم والحدود، إذ إن استدعاء الحريم يكون مرتبطاً باستدعاء سلسلة لا تنتهي من الحدود والموانع والإجراءات والشروط والاستشارات الضرورية القبلية، تقول المرنيسي: "مشاكلنا مع النصاري كما يقول أبي وكما هو الشأن مع النساء تبدأ حين لا تحترم الحدود، وقد ولدت في فترة فوضى عارمة، إذ إن النساء والنصاري كانوا يحتجّون على الحدود ويخرقونها باستمرار".<sup>80</sup> وتسترسل في مقطع آخر قائلة: "كان مدخل دارنا حدوداً حقيقية محروسة".<sup>81</sup> وقد كان الأمر يتطلب، من أجل تجاوز هذه

<sup>74</sup> - لمزيد من التفاصيل انظر فاطمة المرنيسي: نساء على أجنحة الحلم، ص 85

<sup>75</sup> - المصدر نفسه، ص 25، ص 69

<sup>76</sup> - لمزيد من التفاصيل أنظر: نساء على أجنحة الحلم، ص 86

<sup>77</sup> - المصدر نفسه، ص 14

<sup>78</sup> - نجد في متن منجز فاطمة المرنيسي: نساء على أجنحة الحلم، إشارات متعددة للاحتجاج في الحريم، من بين ذلك مثلاً لما منع البواب أحمد شامة من الذهاب إلى السينما بدون إذن، نقرأ ما يلي: "والأخريات يتبعنهن ويتبادلن عبارات الرفض والاستنكار" ص 127. ثم الإشارة إلى سرد شامة لاحتجاجات الرائدات العربيات منتصف القرن التاسع عشر، تقول المرنيسي على لسان شامة دائماً: "لأنهن كنّ محاصرات في حريم (...). كان علينا أن نكتفي بالاستماع إلى شامة وهي تسرد احتجاجاتهن" ص 140

<sup>79</sup> - فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 165

<sup>80</sup> - المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 9

<sup>81</sup> - المصدر نفسه، ص 29

الحدود، الحصول على إذنٍ من جهاتٍ متعددة،<sup>82</sup> عادة ما يكون الزوج أو الرجل عمومًا<sup>83</sup> في المقام الأول، أو من ينوب عنه في غيابه وغالبًا ما تكون أم الزوج، أي الحماة، التي تكون عينه داخل الحريم، وتتوفر على تفويض<sup>84</sup> ضمنى للسلطات الممارسة في حدود الحريم ويسترجعها حالما يدخل إلى نطاق هذه الحدود التي توجد عادة في أذهان الذين يملكون السلطة.<sup>85</sup> إنه منطق التاريخ حين يعاكس رغبات النساء، وبما أن الأيام دولٌ فقد عرف التاريخ العربي الإسلامي ما تسميه المرنيسي: "سلطانات منسيات"<sup>86</sup>، لَمَّا مرَّ على الناس حينٌ من الدهر كانت فيه نساء حاكمات في بلاد الإسلام الممتد في الآفاق. هل هذه الحدود مادية بالضرورة؟ سؤال ملتبس استغرق من المرنيسي مئات الساعات من العمل لتصل إلى أحد أبرز خلاصاتها حول الحريم وتحت مفهومًا جديدًا إذ تقول إنه: الحريم اللامرئي. إن الباحث، أو الباحثة تحديدًا، في الحريم اللامرئي يكون حاله أشبه بالقابض على الماء، لأن الحدود بين الحريم المرئي والحريم اللامرئي شفافة ورقيفة جدًا وتكاد لا تدرك.

تعتبر المرنيسي أن الحريم اللامرئي يتشكل من غير أسوار أو حيطان،<sup>87</sup> فهو حريم ذهني يتكون من مجموع التصورات القبليّة عن المرأة وكل المبادرات التي تروم تفويض دورها في المجتمع وكبح حركتها وديناميتها، وكل القوانين والنظم ذات الصلة، التي يكون عرضها حرمان المرأة من المساواة المستحقة في الفرص والإمكانات والحظوظ، وهو أيضًا مجموع الصور النمطية التي تجعل من المرأة كائنًا مجردًا من العقل باعتبارها أعدل قسمة بين الناس. الحريم اللامرئي يعني كل الإجراءات التي تحرم المرأة من الارتقاء الاجتماعي والتوفر على قدم المساواة مع الرجل على الامتيازات نفسها. إن الحريم اللامرئي عنف آخر ضد المرأة.

إذا كانت المرنيسي تصر على أن الحريم مفهوم مكاني يحيل على حيز جغرافي يشغله بيت أو قصر، فإنه يتحول أحيانًا إلى ثقافة يحملها المرء في ذهنه وتكون مليئة بالتشوهات والصور غير الحقيقية الموجهة للفكر

82- المصدر نفسه، ص 47

83- نستشف ذلك حين رفض زين وجواد اصطحاب أختهم شامة إلى السينما بجلة: "أنها لم تحصل على إذن من والدها (والد شامة) أو والدي (أب فاطمة المرنيسي المسمى الهادي المرنيسي)"، فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 127

84- تشير المرنيسي إلى مفارقة دالة في كتابها: نساء على أجنحة الحلم، هي أن الحريم كان منقسمًا إلى معسكرين اثنين، المعسكر الأول مؤيد للحريم ويضم الجدة (للماهاني) وزوجة العم (أم شامة للاراضية)، فيما المعسكر الثاني مناهض للحريم ومنفض دومًا على سلطاته المادية والرمزية، ويضم أم فاطمة المرنيسي خديجة وشامة، أنظر في هذا الشأن ص ص 48-152، 219. أهمية هذه المفارقة تبرز في أن الأم (أم شامة) توجد في معسكر مؤيد، وشامة (البنيت) توجد في معسكر مضاد، الشيء الذي يحيل على أنهما يعكسان تربيين مختلفين مما أفرز لنا نمطين مختلفين من التفكير؛ ارتباطًا دائمًا بهذه الملاحظة لم يرد في كتابات المرنيسي ما يدل صراحة على أن الرجال كان يخترقهم أكثر من تيار حول الحريم، إذ إن السائد كان هو التيار المؤيد للحريم، اللهم ما أشارت إليه المرنيسي صراحة من أن عمها كريم كان "مرح الطبع ومتضايقًا من صرامة الحريم"، فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 87. لكن قد يفهم من الجملة التالية: "بعدها بفترة وجيزة سار أعمامي الواحد تلو الآخر في نفس الطريق"، على أنه احتجاج على الحريم.

85- المصدر نفسه، ص 11

86- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ترجمة: فاطمة الزهراء ازرويل، الدار البيضاء، نشر الفنك، المركز الثقافي العربي، ط3، 2010

87- انظر في هذا الشأن الحوار الذي دار بين فاطمة المرنيسي وجدتها الياسمين، نساء على أجنحة الحلم، ص ص 71-72

والسلوك، الشيء الذي يُنتج مجموع السياسات والمقاربات التي لا تكون بالضرورة في صالح المرأة. إن ما تحذر منه المرنيسي هو أن "نحمل الحريم في ذاتنا"<sup>88</sup>.

## شهرزاد بين الشرق والغرب؛ أضواء مرنيسية على وضعية المرأة:

من منّا لا يعرف شهرزاد<sup>89</sup> أو لم يكونَ عنها صورة ما؟ إن خيالات الناس مليئة بصور مختلفة عن شهرزاد ابنة وزير الملك شهريار التي كادت تدفع حياتها قرباناً لوضع حدّ لغلو سلوك الملك وخروجه عن الجادة، وأغلب الناس تحتفظ ذاكرتهم بصور مشرقة مليئة بالحياة عن بطلة ألف ليلة وليلة عندما انخرطت في حكي لا ينتهي حتى تنفذ نفسها من موت محقق وتنقذ بنات جلدتها من النساء، فقد تابعت شهرزاد ليال وليال من الحكي تسحر لب ملكها حتى تبدل وصار عذّباً، عاشقاً ولطيفاً،<sup>90</sup> كان الخليفة سيقطع رأسها ولكنها نجحت في إيقافه بسحر الكلمات.<sup>91</sup> ولم تبق شهرزاد<sup>92</sup> حبيسة الشرق بل وصلت إلى الغرب وتحديداً إلى باريس الفرنسية سنة 1704<sup>93</sup>، برفقة فرنسي يدعى أنطوني كالان (Antoine Galland, 1646-1715) الذي كان مغرمًا باقتناء الآثار الفنية، إذ أتاحت له فرصة السفر إلى الشرق بصفته كاتبًا خاصًا للسفارة الفرنسية، وكان أول من ترجم وطبع كتاب ألف ليلة وليلة<sup>94</sup> في اثني عشر مجلدًا.

تري فاطمة المرنيسي من خلال أبحاثها أن شهرزاد تعرضت إلى أبشع تشويه طال صورتها على امتداد التاريخ، ويتضح ذلك من خلال النماذج التالية:

- تحول شهرزاد إلى مجرد راقصة في العرض المسرحي الذي قُدّم في برلين الألمانية، وهو ما استغربت منه الباحثة حين حضرت العرض مع مرافقها هانس، لأنها كانت تنتظر أن تتوقف شهرزاد عن الرقص بين فقرتين لتروي إحدى الحكايات التي خلدها التاريخ على مر العصور، لكن لا شيء من ذلك حدث، لقد تعرضت شهرزاد للاختزال خلال هذا العرض مما نفى عنها أية صفة مرتبطة بالذكاء أو سرعة البديهة أو قيمة العقل

<sup>88</sup> - فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 71

<sup>89</sup> - تعرّف المرنيسي شهرزاد على النحو الآتي: "شهرزاد هو اسم الفتاة التي تقصّ حكايات ألف ليلة وليلة. إننا لا نملك معلومات كثيرة بشأن هذه الحكايات الغربية، باستثناء أن القصص كانوا يروونها باللغة العربية للترفيه عن المارة في بغداد خلال العصر الوسيط، رغم أن أصلها يعود إلى الهند وبلاد فارس"، فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، مصدر سابق الذكر، الصفحة 61

<sup>90</sup> - فاطمة المرنيسي، شهرزاد ليست مغربية، ترجمة: ماري طوق، نشر الفنك، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2003، الصفحة 24

<sup>91</sup> - فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، مصدر سابق الذكر، الصفحة 18

<sup>92</sup> - تتألف كلمة شهرزاد من كلمتين ذات أصل فارسي: "تسهر"، و"زاد"، وتعنيان: "العريقة الأصل"، انظر في هذا الشأن: فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، مصدر سابق الذكر، الصفحة 61

<sup>93</sup> - فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، المصدر نفسه، الصفحة 77

<sup>94</sup> - لمزيد من التفاصيل انظر: فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، المصدر نفسه، الصفحة 79



الذي عرفت به. تقرر المرنيسي أن شهرزاد التي عرضت في مدينة برلين لا تمت بأية صلة لشهرزاد التي تعرفها جيداً، لقد كانت مجردة من أقوى أسلحتها في الجاذبية؛ أي النكلم، ومن العقل مصدرًا للكلام.<sup>95</sup> تصر المرنيسي وهي تشاهد شهرزاد التي أحببتها أنها تعرضت للتشويه، لأن شهرزاد الشرقية لا ترقص ولكنها تفكر وتتحدث، إنها تنسج حكايات بالغة الجمال بواسطة الكلمات، إلى حد أن زوجها يفقد الرغبة في قتلها.<sup>96</sup> لقد جردت شهرزاد من ذكائها حين غادرت الشرق وعبرت الحدود إلى الغرب، إذ ما أن وطئت قدمها أرضه حتى جردتها الجمارك الأوربية من جواز سفرها؛ أي من كل ما يشكل هويتها متمثلاً في ذكائها أساساً. والواقع أن الغربيين لم يأبهوا إلا لمشاهد المغامرة والغرام في ألف ليلة وليلة الذي انحصر هو الآخر في الزينة ولغة الجسد بشكل باعث على الاستغراب.<sup>97</sup>

- اختزال صورة شهرزاد في صورة امرأة عارية، عندما اطلعت الباحثة على طبعة لأحد الكتب في إحدى المكتبات البرلينية، أقصد كتاب بعنوان: المتعة في ألف ليلة وليلة طبعة 1985 لفنان ألماني<sup>98</sup>. إذ وجدت المرنيسي على غلاف المجلد الأزرق صورة امرأة ضخمة ذات وركين ممثلين، ذات شعر طويل يتدلى بين ثدييها المنتفختين جداً<sup>99</sup>، لدرجة تقول المرنيسي: "ما كنت لأتخيلها قط ممثلة أو عارية إلى ذلك الحد، المسكينة"<sup>100</sup>، وتقول دفاعاً عن شهرزاد<sup>101</sup>: "عكس المرأة التي رأيتها تستعرض جسدها على غلاف أزرق صارخ، فإن شهرزاد الشرقية ذكية، وتجعل من هذه الميزة أقوى إغراءاتها."<sup>102</sup> تستخلص المرنيسي درساً مهماً مما سبق وهو أن المرأة لن تستطيع تغيير وضعها نحو الأفضل إذا ما اعتمدت على جسدها فقط؛ أي على الجنس دون العقل.<sup>103</sup> ودليلها على ما تقول أن زوجة الملك شهريار الأولى فشلت في تخليص نفسها وتخليص النساء من وراءها من جحيم الموت، لأنها جعلت الثورة محدودة في جسدها.<sup>104</sup> وتضيف أن أنموذج شهرزاد

<sup>95</sup> - فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، مصدر سابق الذكر، الصفحة 57

<sup>96</sup> - فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، المصدر نفسه.

<sup>97</sup> - المصدر نفسه، الصفحتان 80، 81

<sup>98</sup> - المصدر نفسه، الصفحة 51

<sup>99</sup> - المصدر نفسه، الصفحتان 50، 51

<sup>100</sup> - فاطمة المرنيسي، المصدر نفسه، ص 51

<sup>101</sup> - لمزيد من التفاصيل حول الحديث الذي دار بين الباحثة فاطمة المرنيسي، وبين مرافقها هانس حول هذا الموضوع، انظر فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص ص 50-57

<sup>102</sup> - المصدر نفسه، ص 58

<sup>103</sup> - فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 74

<sup>104</sup> - المصدر نفسه، ص 74

يعلمنا أن بإمكان المرأة أن تثور بفعالية شرط أن تفكر؛ أي أن تستخدم عقلها استخدامًا جيدًا، إنها حين تعتمد على قوة ذكائها تساعد الرجل على أن يتخلص من حاجته النرجسية.<sup>105</sup>

- لم يقف الحد عند تشويه صورة شهرزاد واختزالها في الرقص والعري فقط، بل وصل التشويه حدَّ القتل، حدث ذلك سنة 1845، مع الكاتب الأمريكي ادجار ألان بو (Edgar Allan Poe, 1808-1849)، في كتابه: "الألف ليلة وليلتين لشهرزاد"<sup>106</sup>، الذي وجد لذة في قتلها إذ يقول: "شعرت بارتياح كبير حين كان الحبل يضيق حول رقبتها."<sup>107</sup> وتستخلص المرنيسي من ذلك متأسفة أن رسالة شهرزاد لم تنفذ إلى الوعي الغربي بعمق،<sup>108</sup> بل بقيت على السطح.

- قمة الإساءة لشهرزاد سوف تأتي من فرنسي آخر اسمه تيوفيل غوتيي (Théophile Gautier, 1811-1872) الذي قتل هو الآخر في قصته: "الألف ليلة وليلتين" الصادرة قبل قصة ألان بو بثلاث سنوات، يعود سبب القتل الذي تعرضت له شهرزاد هذه المرة إلى سبب مهين للغاية: لقد انقطع الإلهام عن شهرزاد، قتلها ألن بو لأنها كانت تعرف أكثر من اللازم، أما غوتيي فقد قتلها لأنها لم تكن تعرف ما يكفي.<sup>109</sup>

إن لهذه النماذج التي تسوقها الباحثة فاطمة المرنيسي ارتباط بالحريم اللامرئي الذي سبق الحديث عنه في المحاور السابقة، وهي غير مفصولة عن سياقه، بل امتداد له بشكل من الأشكال، لأنها ترتبط بنظرة عامة تجاه المرأة تُستدعي دائما إلى جانب أكثر النماذج وضاعة وسوءًا.

## الحريم ونقد الحجاب المؤسساتي:

استطاعت السوسيولوجية فاطمة المرنيسي من خلال أبحاثها التي خصصتها لموضوعة الحريم أن تبلور مفهوماً مركزياً يحمل دلالات قوية إنه الحجاب المؤسساتي مؤكدة أن سنة 1909 تشكل سنة فارقة ومنعطفًا مهمًا في التاريخ العثماني وتاريخ المجتمعات الإسلامية عمومًا، من خلال الإحالة على السنة التي ألغي فيها الحريم، وتشتت محظيات السلطان عبد الحميد الثاني، بما يحمل ذلك من إشارات رفع الحجر على النساء.<sup>110</sup>

<sup>105</sup> - المصدر نفسه، ص 74

<sup>106</sup> - فاطمة المرنيسي، المصدر نفسه، ص 81

<sup>107</sup> - المصدر نفسه، ص 97

<sup>108</sup> - المصدر نفسه، ص 93

<sup>109</sup> - فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ص 113

<sup>110</sup> - فاطمة المرنيسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟، ص 139

وتؤكد المرنيسي أن منطق الانتماء إلى الحريم يفرض الحجاب<sup>111</sup> بالضرورة على كل اللائي يخرقن الحدود، ويجدن أنفسهن في الجانب الآخر، جانب المسرح الخليفي، لأن الحجاب يرتبط بالمسرح والتقاليد، وهو في ذلك أكثر مدعاة للاضطراب من الغياب أو الموت، لأن الأمر يتعلق بالوجود. إن الأموات والغائبين لا يوجدون، وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة، ولكن ما هو مطروح في التقليد الذي يمثله الحجاب،<sup>112</sup> هو القضاء على إرادة كائنات موجودة ماديًا، كائناتٍ ليست ميتة ولا غائبة، نساء حاضرات يحدقن بعيون مفتوحة ومنتبهة.<sup>113</sup>

تربط المرنيسي بين الحجاب المؤسسي وبين استهداف إرادة النساء لأن "ما يزعج هو قرار امرأة بأن توجد كإرادة حرة، وهناك فرق كبير بين الذكاء والإرادة. إن ذكاء امرأة يمكن أن يوضع دائمًا في خدمة من يملكها، أما الإرادة فلا تخضع لأحد أبدًا، الإرادة توجد أو لا توجد، وإذا ما كانت موجودة، فإنها تدخل حتمًا في منافسة مع إرادة أخرى، وخاصة مع إرادة الشخص الذي علينا طاعته."<sup>114</sup> وللمرنيسي في محكياتها: "نساء على أجنحة الحلم"، قصص مثيرة مع الحجاب، إذ كثيرًا ما كانت تنهاها أمها كلما رأتها تضع منديلًا أو حجابًا، إذ تقول في أحد المقاطع الحوارية مع أمها: "لا تغطي شعرك أبدًا، أسمعين؟ إنني أصارع من أجل إزالة الحجاب وأنت تعودين إليه."<sup>115</sup> وتضيف: "لا فائدة من تغطية الرأس والاختباء، والمرأة لا تحل مسائلها بالاختفاء، بل على العكس من ذلك تغدو ضحية مستهدفة، لقد عانيت كثيرًا أنا وجدتك (الياسمين) من حكاية الأفتنة والحجاب. ونحن نعرف بالأ فائدة ترجى من وراء ذلك، أريد أن تمشي بناتي في أرض الله الواسعة ورأسهن مرفوع وهن ينظرن إلى النجوم."<sup>116</sup>

إن المشروع العلمي للباحثة المغربية فاطمة المرنيسي ذو طبيعة نقدية صارمة، فيه نقد للأنا والذات، حيث ترفض كل الصور النمطية اتجاه المرأة، وتقف أمام كل دعوات إقصائها وتهميشها أو التقليل من شأنها، كما نجد فيه أيضًا نقد للآخر سواء أكانت لوحات فنية لفنانين غربيين أو كتابات حول ألف ليلة وليلة، من خلال إبراز تلك الرؤية الدونية اتجاه المرأة الصادرة من طرف أناس يفترض فيهم التشبع بقيم المساواة والعقلانية

<sup>111</sup> - تضع المرنيسي مقارنة مثيرة بين حجاب المرأة وحجاب الخليفة، تقول في هذا الشأن: يمزق الاقتراع العام حجابين يعنيان ويجسدان عتبتين تبنيان الإسلام السياسي كهندسة كونية: حجاب النساء وحجاب الخليفة، ذلك ورغم التناقض الذي قد يبدو لنا، فإن النساء لسن وحدهن اللائي يخرقن وراء حجاب. فالخليفة المسلم، وهو تركز كوني كل إرادات المؤمنين، أي لأولئك الذي اختاروا الخضوع، وإلغاء إرادة الفرد لحساب إرادة الجماعة، محتاج أكثر من غيره للحماية. إن حجاب الخليفة مؤسسة أساسية في الإسلام السياسي، شأنها في ذلك شأن حجاب النساء. فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 272

<sup>112</sup> - تعتبر المرنيسي أن لفظة "الحاجب" تشترك مع لفظة "حجاب" في الأصل اللغوي نفسه أي: حَجَبَ، أخفى، وضع حاجزًا، أو قسم المكان إلى قسمين بواسطة ستار أو حجاب. فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 276

<sup>113</sup> - فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 270

<sup>114</sup> - فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص ص 270-271

<sup>115</sup> - فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ص 109

<sup>116</sup> - المصدر نفسه، ص ص 109-110

وإيمان الصريح بحقوق النساء، كأننا بالمرنيسي، تقول إن جوّ الحداثة الذي تربو فيه لم يؤثر إيجاباً في نظرتهن للمرأة الشرقية.

## خاتمة:

تمثل شهرزاد أيقونة المرأة الشرقية عند فاطمة المرنيسي، ارتبطت بها ارتباطاً وثيقاً، لذلك لم تستسغ ما كِيلَ لها من تهيمٍ وما طالها من تشويهٍ، نظراً للدور الريادي الذي قامت به، أسطورياً على الأقل، في بعث روح المقاومة وإذكائها عند المرأة الشرقية والعربية، واعتبارها أنموذجاً نابضاً بالحياة والدفاع المستميت عن الحق في الوجود أولاً، والحق في البقاء ثانياً، والحق في التحرر والانعقاد والكرامة والتمتع بالحقوق والحريات الأساسية على قدم المساواة مع الرجل، دونما افتعال لصراع أو خصام وهمي معه، لأن النساء شقائق الرجال.

إنّ المس بصورة هذه الأيقونة هومسّ بمسار طويل وشاق ومضنٍ من معركة التحرر، دفعت فيه النساء الثمن غالباً حتى يصلن إلى ما هنّ عليه الآن، رغم أنه غير كافٍ، من ضمان الحقوق وتحقيق المكتسبات وصيانتها. إن مجهود المرنيسي يكتسي أهمية بالغة لأنه يستهدف البنى الثقافية والذهنية في الداخل والخارج نقداً وتفكيكاً وتعريّةً للتناقضات التي يحبل بها الخطاب الشرقي والخطاب الغربي على حد سواء فيما يتصل بالنظر إلى قضية المرأة. تتوفر المرنيسي على مشروع متكامل بنته على امتداد سنوات معتبرة من التحصيل والبحث والتنقيب والحفر والتساؤل والشك وإعادة النظر في اليقينيّات ومسح الطاولة بالمنطق الديكارتي، بحثاً عن معرفة أكثر رسوخاً وتكاملاً.

تسعى فاطمة المرنيسي بنفْسٍ سوسولوجي ومن خلال صناعة معرفية ثقيلة، عبر نقدها لمفهوم الحريم اللامرئي إلى أن تحذر من مغبّة السقوط في اللبس واللافهم والخلط بين الأشياء، والتمسك بطروحات نقضتها الحداثة، إنه نقد لذهنية تقوم على عملية استصحاب الماضي في الحاضر؛ أي ذلك الحنين الذي يتملّك البعض إلى يوم الناس هذا، عندما ينظر إلى المرأة بمنطق الحجر والقصور وعدم النضج والاكتمال، ويضع في رأسه حريماً لامرئياً، ويسعى إلى ممارسة نوع من الوصاية عليها، وهي راشدة، في مصادرة فجّة لحقها في التعبير والاختلاف وإبداء الرأي، وحققها في التنقل والتعليم والعمل والسفر.

## المصادر والمراجع:

- فاطمة المرنيسي، نساء على أجنحة الحلم، ترجمة: فاطمة الزهراء ازرويل، الدار البيضاء، نشر الفنك، المركز الثقافي العربي، ط2، 2007
- فاطمة المرنيسي، هل أنتم محصنون ضد الحريم؟ ترجمة: نهلة بيضون، الدار البيضاء، نشر الفنك، المركز الثقافي العربي، ط3، 2008
- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ترجمة: فاطمة الزهراء ازرويل، الدار البيضاء، نشر الفنك، المركز الثقافي العربي، ط3، 2010
- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، نساء حاكمات في بلاد الإسلام، ترجمة: فاطمة الزهراء ازرويل، الدار البيضاء، نشر الفنك، المركز الثقافي العربي، ط3، 2010
- فاطمة المرنيسي، الجنس كهندسة اجتماعية، بين النص والواقع، ترجمة: فاطمة الزهراء ازرويل، الدار البيضاء، نشر الفنك، مطبعة فضالة، المحمدية، ط1، 1987
- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ليست مغربية، ترجمة: ماري طوق، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، نشر الفنك، ط2، 2003
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط2، 2003
- عبد السلام بنعبد العالي، ثقافة الأذن وثقافة العين، سلسلة المعرفة الفلسفية، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2008
- Fatéma Mernissi, Rêves de femmes, Roman, édition le Fennec (Fennec Poche), 5 ème édition, février, 2011, l'imprimerie Najah EL Jadida, Casablanca.



MominounWithoutBorders



@ Mominoun\_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com